

REVUE
DROIT & SOCIÉTÉ

مجلة

القانون و المجتمع

دورية علمية محكمة تعنى بالدراسات و الأبحاث في المجال القانوني و الاجتماعي و الاقتصادي.
PERIODIQUE SCIENTIFIQUE A COMITE DE LECTURE, CONSACRE A LA PUBLICATION D'ETUDES
ET DE RECHERCHES DANS LES DOMAINES JURIDIQUE, ECONOMIQUE ET SOCIALE



دمج الهجرة في مسار التنمية بالمغرب :
قراءة في توجهات النموذج التنموي الجديد

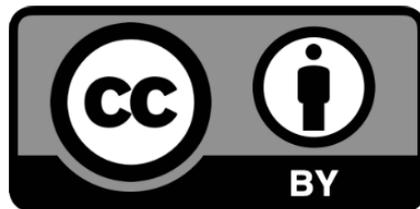
INTEGRATING MIGRATION INTO THE
DEVELOPMENT PATH IN MOROCCO:
OVERLOOK OF THE ORIENTATIONS OF
THE NEW DEVELOPMENT MODEL

DOI : 10.5281/zenodo.7086810

أبولاه البشير

دكتور، باحث في القانون العام والعلوم السياسية

جامعة القاضي عياض -مراكش، المغرب



Éditée Par
SOCIAL AND MEDIA STUDIES INSTITUTE



REVUE DROIT & SOCIÉTÉ
ISSN : 2737-8101

مشروع النموذج الجديد يهدف إشراك مغاربة العالم في مسار التنمية المنشودة بالمغرب بغرض توضيحها واستعراض تمفصلاتها.

كلمات مفتاحية: الهجرة- التنمية- مغاربة العالم- النموذج التنموي الجديد.

INTEGRATING MIGRATION INTO THE DEVELOPMENT PATH IN MOROCCO :

OVERLOOK OF THE ORIENTATIONS OF THE NEW DEVELOPMENT MODEL

Abstract:

In recent decades, many experts and international bodies have warned of the significant effects that international migration can have on the source countries. In this context, they have stressed the need to integrate migration into the development path. Perhaps the premise for the success of this proposition is awareness and full understanding of the development benefits reaped from migration.

Elbachir OUBOULLAH

PhD, researcher in public law and political science

Cadi Ayyad University, Marrakesh, Morocco

Taking into account this importance, the authors of the new development model accentuates the necessity of developing a tight policy to frame the contribution of Moroccans of the world to the success of the development project. In this respect, this paper raises a set of broad lines on which the new model project was founded with the aim of involving the moroccans of the world in the desired development path in Morocco in order to clarify and review its details.

Key words : Migration–Development–Moroccans of the world–The new development model.

التي تقودها منظمة الأمم المتحدة في هذا المجال، ولعل من المبادرات الرئيسية التي تناولتها، الحوار الرفيع المستوى بشأن الهجرة والتنمية الذي انعقد لأول مرة في عام 2006، وبعد ذلك في عام 2013، علاوة على إعتبار بعد الهجرة جزءا لا يتجزأ في خطة التنمية المستدامة للعام 2030.

مقدمة

الهجرة ظاهرة إنسانية لها مغارم ومغانم، ومن هذه الأخيرة قدرتها على توليد المكاسب التنموية، ويعود الفضل الكبير في إثارة الإنتباه للعلاقة المتبادلة بين الهجرة والتنمية إلى الجهود الحثيثة

إن كل المبادرات التي تناولت العلاقة بين الهجرة والتنمية، أكدت عن توافق الدول والمنظمات الدولية ومنظمات المجتمع المدني على أهمية مساهمة الهجرة في التنمية، إذ تعود بالنفع على البلدان المرسله للمهاجرين والمستقبله لهم، وذلك من خلال تعويض اليد العاملة في الأولى، والإستفادة من التحويلات المالية في الثانية، علاوة على فوائد أخرى تمس هذه الأخيرة، من قبيل مساهمة المهاجرين في نقل الموارد، والمهارات، والمعارف، والأفكار، وكذا بناء قدرات أبناء البلد وربطهم بالشبكات العالمية، وهذا كله يُساهم في بناء مستقبل أفضل لهم ولمن يُعيلونهم ولدولهم الأصلية.

على الرغم من أن المغرب يعد من أهم الدول المصدره للمهاجرين في منطقة المتوسط منذ عقود من الزمن، مما ساهم في خلق جالية مغربية مكثفة بالخارج وصل تعدادها تبعاً لآخر الإحصائيات¹ إلى 05 مليون مهاجر مغربي في مختلف ربوع المعمورة، إلا أن سياسة الهجرة التي إعتمدتها المملكة لحد الساعة لم تحسن الإستفادة من الإمكانيات التي تقدمها أمواج المهاجرين المغاربة المغادرين لوطنهم الأم، ولم تستطع اعتماد نهج قادر على تحويل الهجرة إلى

¹ Mahieu, R. (2020). Diaspora Policies, Consular Services and Social Protection for Moroccan Citizens Abroad. In: Lafleur, JM., Vintila, D. (eds) Migration and Social Protection in Europe and Beyond (Volume 3). IMISCOE Research Series. Springer, Cham. https://doi.org/10.1007/978-3-030-51237-8_13

عامل محفز ودافع لعملية التنمية، من منطلق إدراج موضوع الهجرة في الخطط الإنمائية، بل وإشراك المهاجرين سواء الكفاءات التي غادرت الوطن، أو العائدين، في تنزيل الخطط الإنمائية التي إعتمدت في فترات سابقة.

لقد فطن خبراء اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي الجديد إلى أهمية بناء سياسة رصينة لإدماج مغاربة العالم في تنمية وطنهم الأم باعتبارهم فاعلين رئيسيين للتغيير والتنمية، وذلك من منطلق أهمية تحويلاتهم المالية من العملة الصعبة من جهة، ومن جهة ثانية إشراك الكفاءات العليا منهم في إنجاز المشاريع والبرامج التنموية علاوة على دور هذه الأخيرة في تجويد الرأسمال البشري للمغرب، وذلك سيرا على نهج التجارب الدولية المقارنة الناجحة والممارسات الفضلى للعديد من الدول في هذا المجال، والتي كان إدراج بُعد الهجرة في خططها الإنمائية سببا من أسباب نجاحها وتألقها عالميا، وتلك من أهم الأسس التي أثارها خطاب الملك محمد السادس في 20 غشت 2022 بمناسبة الذكرى 69 لثورة الملك الشعب الذي يمكن إعتباره بمثابة خريطة طريق لإشراك مغاربة العالم في مسار التنمية بالمغرب².

في هذا السياق، تكمن أهمية وأهداف هذه الورقة في محاولة إستجلاء جزئيات وتمفصلات

² جاء في هذا الإطار في نص الخطاب الملكي ل 20 غشت 2022 مايلى "أما فيما يتعلق بإشراك الجالية في مسار التنمية، والذي يحضى بكامل إهتمامنا. فإن المغرب يحتاج اليوم لكل أبنائه ولكل الكفاءات والخبرات المقيمة بالخارج، سواء بالعمل والإستقرار بالمغرب أو عبر مختلف أنواع الشراكة والمساهمة إنطلاقا من بلدان الإقامة".

مساعي المغرب لجعل الهجرة بمختلف أشكالها في خدمة نموذجه التنموي الجديد، لاسيما هجرة الكفاءات بإعتبارها قاطرة لنقل المعرفة والمهارات والخبرات ومن تم التأثير في الرأس مال البشري للمغرب، وكذا الإستفادة من التحويلات المالية المهمة للمهاجرين بإعتبارها من المزايا الملموسة للهجرة في دول المصدر، وتحقيق هذه الغايات سيحتم لا محالة القيام بمراجعة شاملة للدور التنموي للهجرة وإرساء سياسة وطنية رصينة تدمج الهجرة في مسار التنمية للدولة.

انطلاقا مما سبق تطرح هذه الورقة البحثية إشكالية جوهرية تبحث عن الإجراءات التي قد تمثل خطوات في الطريق الصحيح نحو رسم سياسة وطنية محكمة لتأطير الاستفادة من التأثيرات الإيجابية للهجرة في المسار التنموي الذي اختاره المغرب، وفقا للخطوط العريضة التي أسس لها مشروع النموذج الجديد الذي اعتبر إشراك مغاربة العالم رافعة أساسية، بل وورش تحويلي لإطلاقه.

يستند البحث إلى فرضية رئيسية مفادها أن التأثير الإيجابي للهجرة على مسار التنمية رهين برسم سياسة وطنية "ذكية" تدمج الهجرة وقضاياها في مسار التنمية في المغرب، ويهدف التحقق من صحة (أو عدم صحة) هذه الفرضية، سنستخدم المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن وذلك من خلال استغلال بعض مما هو مُتاح من أدبيات وتجارب دول ناجحة في حسن اعتماد مقترب الهجرة في خدمة التنمية بدول المصدر، وفي هذا الصدد سنحاول الاجابة على الأسئلة التالية :

-كيف سيسطيع صناع السياسة بالمغرب تحويل إشكالية الهجرة خاصة هجرة الكفاءات من معادلة خاسرة إلى معادلة رابحة تخدم مسار التنمية بالمغرب؟ ماهي أهم سبل الإستفادة من التحويلات المالية لمغاربة العالم لجعلها في خدمة التنمية ببلدهم الأم؟ ما أبرز المرتكزات التي يجب أن تبني عليها مراجعة الدور التنموي للهجرة في المغرب على ضوء مخرجات مشروع النموذج التنموي الجديد، وذلك لجعل الهجرة في خدمة التنمية، والتنمية في خدمة الوطن والمهاجر على حد سواء؟

يعكس ترتيب الأسئلة الفرعية أعلاه، التسلسل المنطقي للأفكار التي تنبني عليها هذه الورقة، و يتجلى هذا في تناسقه التام مع التقسيم الذي اعتمدناه للإجابة على الإشكالية البحثية المثارة، حيث تتناول الفقرة الأولى سبل الاستفادة من التأثيرات الإيجابية للهجرة وذلك بالتركيز أولا على الاستثمار في هجرة الكفاءات على ضوء الممارسات الفضلى الناجحة دوليا، وثانيا استغلال التحويلات المالية للمهاجرين لخدمة مسار التنمية، أما الفقرة الثانية فتقدم لمحة عن أهم المرتكزات التي يجب أن تنبني عليها مراجعة الدور التنموي لمغاربة العالم من خلال مأسسة هذا الدور أولا، وثانيا اتخاذ إجراءات فعلية كفيلة بإحياء وتوثيق الصلة مع مغاربة العالم في الخارج.

الفقرة الأولى: سبل الاستفادة من التأثيرات الإيجابية للهجرة

تسخير الهجرة لخدمة التنمية بالمغرب يحتم على صناع السياسة رسم سياسة وطنية للهجرة تستحضر في أبرز ملامحها العامة الاستثمار في هجرة الكفاءات على ضوء الممارسات الفضلى الناجحة دولياً (أولاً)، وحسن استغلال تحويلات المهاجرين من العملة الصعبة باعتبارها من الأدوات الهامة التي يمكن أن تساهم مساهمة إيجابية وفعالة في تنمية الوطن (ثانياً).

أولاً: الاستثمار في هجرة الكفاءات على ضوء الممارسات الفضلى الناجحة دولياً

لا بد من الاعتراف بأن للهجرة أدوار سلبية في إفقاد بلد المنشأ جزءاً من رأسماله البشري والمهارات التي يزخر بها، خاصة عندما يتعلق الأمر بذوي المهارات العالية، ويكون هذا الدور أسوأ أثراً عندما تطال هذه الهجرة قطاعات رئيسية مثل الصحة والتعليم، لأن ذلك يؤدي لتقويض قدرة البلد على تلبية أهدافه الإنمائية، غير أن هذا لا ينفي الأدوار الفاعلة التي يمكن للمهاجرين القيام بها في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دول المنشأ.

إن التحدي في هذا الإطار يتمثل في قدرة دول المنشأ على صياغة سياسات تعمل على زيادة التأثيرات الإيجابية للهجرات المنطلقة منها مع تقليل آثارها السلبية³، أي بلوغ هدف إدارة أفضل للهجرات من أجل تنمية مستدامة، وذلك

³ - يوروميد 2: "الهجرة النسائية في دول البحر الأبيض المتوسط والاتحاد الأوروبي"، المفوضية الأوروبية (2008-2011)، ص 30.

بالاستفادة من مهارات ومعارف مغتربها⁴، وكذا إسهامات العائدين في التنمية .

أصبح من الصعوبة بمكان وقف نزيف الأدمغة وهجرة الكفاءات خاصة من دول الجنوب، والتي أخذت منحى تصاعدي في سياق عالمي يطبعه النقص الحاد في الأشخاص المؤهلين بالبلدان المتقدمة، أو ما يُسمى أزمة المؤهلات (Tralent Crunch)، وفي قطاعات تكنولوجية دقيقة، سيما المعلومات والكفاءات الدقيقة والمعطيات الضخمة، وكذا في قطاعات أساسية من قبيل البحث العلمي والطب، غير أنه أصبح من الممكن التخفيف من حدتها بوضع استراتيجيات لإشراك هذه الكفاءات في تنمية بلدان منشئها، وذلك بمحاكاة عدد من النماذج الناجحة في جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية.

منذ مطلع التسعينات من القرن الماضي ظهرت نظريات ودراسات أرست لتوجهات جديدة حول موضوع هجرة الكفاءات تحت إطار "كسب الأدمغة" (Brain Gain)، أو "دوران الأدمغة"

⁴ - المغتربون : يعرفون بشكل واسع على أنهم أشخاص وأفراد وشبكات وجمعيات تتشكل من أشخاص غادرو بلدهم الأصلي، لكنهم لا يزالون يحتفظون بروابط مع أوطانهم، ويشمل هذا المفهوم مجتمعات المغتربين الذين يستقرون في الخارج والعمال المهاجرين المقيمين في الخارج بصفة مؤقتة، والمغتربين الحاملين لجنسية بلدهم المضيف والحاملين جنسيتين، والمهاجرين من الجيلين الثاني والثالث، أنظر: الإسكوا، المنظمة الدولية للهجرة "تقرير حالة الهجرة الدولية لعام 2017 - الهجرة في المنطقة العربية وخطة التنمية المستدامة لعام 2030 " رقم الوثيقة E/ESCWA/SDD/2017/1 ص 120.

يقوم بها كبار العلماء للإقامة لشهر واحد كحد أدنى في المؤسسات الموجودة بالبلدان النامية⁹.

أثبتت تجارب عالمية إمكانية الاستفادة من الكفاءات والخبرات المهاجرة بطريقة عقلانية وواقعية، بدل الحديث عن المطالبة بعودتها، وهي السياسة التي أثبتت عدم جدواها، إذ أصبحت هناك بدائل للاستفادة من هذه الكفاءات، ويعد النموذج الهندي¹⁰ في هذا المجال، خير نموذج يحتذى به، حيث قام مهاجروها من الكفاءات بمبادرات، تفاعلت معها حكومة دولة الهند إيجابيا باتخاذ إجراءات تنظيمية وقانونية، بل وإنشاء مؤسسات

⁹ - جورج قرم " الإقتصاد السياسي للإنتقال الديمقراطي في الوطن العربي" المستقبل العربي، السنة 37، العدد 426، غشت 2014، ص 27.

¹⁰ - تعتبر دولة الهند في مقدمة الدول الأكثر فقداً وتصديراً لعمالها من ذوي المهارات العالية إلى الأسواق الخارجية، مثلاً كانت الهند في عام 2000 البلد الأول عالمياً من حيث إرسال علماء الفيزياء ب 57.383، أي ما يقارب 9.9 % من إجمالي الفيزيائيين الذين يدرسون في الخارج، أما على مستوى البعثات الطلابية إلى الخارج، فيشكل الطلاب الهنود المرتبة الثانية بعد الصين (421.100)، بنسبة 5.5 في المئة (153.300) من أصل 2.8 مليون، وهو مجموع الطلاب الذين يدرسون خارج دولهم على المستوى العالمي، وتعتبر الهندسة الوراثية والعلوم الإحيائية أكثر القطاعات تضرراً من هجرة الكفاءات في الهند، حيث إن 90 % ممن يدرسون هذه التخصصات في مرحلة ما بعد التخرج يواصلون دراساتهم في الولايات المتحدة الأمريكية، كما تُسجل الهند أعلى معدل الإغتراب من الأطباء بنسبة 8 % مقابل 1 % في الصين، أنظر: شاكور ظريف " هجرة الكفاءات الجزائرية إلى الخارج (1999-2015): دراسة في الأسباب والإنعكاسات"، مجلة والإنعكاسات"، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد 21، ص 21، مرجع سابق، ص 127.

(Circulation Brain)⁵، وذلك بتحويلها إلى خيار جديد للاستفادة منها من قبل دولهم الأصل، بالمساهمة في نقل المعرفة والتقانة إليها⁶، وبناء على هذا التصور طور برنامج الأمم المتحدة الإنمائي مشروع "نقل المعرفة عن طريق المواطنين المغتربين" و الذي يعرف اختصاراً (TOKTEN)⁷، والذي يهدف إلى عكس أنماط هجرة الأدمغة من الرعايا المغتربين بتشجيعهم على التطوع بخبرتهم في خدمات مواطنهم لفترات قصيرة، إضافة إلى برنامج آخر يستند إلى فكرة الشبكة، وهو ليس موجهاً حصراً نحو الشتات، إنما يسعى إلى استحداث شبكات معرفة مماثلة تحت إسم "الباحث الزائر" الذي رعاه "المجلس الدولي للعلوم"، والمعروف اختصاراً (ICSU)⁸، كما دعمت "أكاديمية العلم للعالم الثالث"، واليونسكو، فكرة الزيارات التي

⁵ - Annalee Saxenian "Brain circulation and Capitalist Dynamics: The Silicon Valley-Hisnchu-shanghai Triangle" CSES Working Paper ; Series 08 ; Center for Economy and Society Cornell University ;Departement of Sociology 2003; P: 03.

⁶ - شاكور ظريف " هجرة الكفاءات الجزائرية إلى الخارج (1999-2015): دراسة في الأسباب والإنعكاسات"، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد 21، المجلد 06، صيف 2017، ص 113.

TOKTEN :Transfer of knowledge Through

⁷ - Expatriate Nationals.

⁸ - ICSU: International Council for Science.

يضاف إلى هذا استفحال ظاهرة هجرة الأطباء¹³، مما يشكل خسارة فادحة لقطاع الصحة العمومية المغربية الذي يعاني أصلاً من خصاص مهول.

عديدة هي الأسباب الدافعة بكل هؤلاء لمغادرة الوطن، ولعل من أهمها غياب التحفيز والتسهيلات، وكذا إشكالية الاعتراف من قبل دولة الأصل بالاختصاصات التي درست بأرض الوطن¹⁴، هذا علاوة على تطلع هذه الكفاءات للعيش في بيئات أفضل تثمن كفاءاتهم، وكذا سعيهم نحو تحقيق ارتقاء اجتماعي قائم على الاستحقاق والكفاءة، إضافة إلى العروض الجذابة التي تُقدمها الدول الغنية من أجل استقطاب أفضل الكفاءات من خلال تيسير مساطر الهجرة وتخويل أجور وامتيازات مغرية، وتوفير إطار ملائم للبحث العلمي والكفيل

متخصصة ساهمت في ابتكار نماذج من الصناعات خاصة المعلوماتية، والتي أغنت دولتهم الأم من التزود الخارجي في هذا المجال، بل والانتقال بالصناعة المعلوماتية الهندية إلى العالمية، ولعل من الآليات التي اعتمدها دولة الهند في هذا الإطار، تقديم جملة من الحوافز لمغربيها من الكفاءات، كالسماح بازدواجية الجنسية، وعقد مؤتمر سنوي للمغربين، وكذا تسهيلات لتعيين المغتربين الهنود في الجامعات الهندية، وبرامج منح وإقامات علمية¹¹.

عرفت هجرة المغاربة إلى الخارج تحولات عميقة في السنوات الأخيرة حيث لم تعد تتكون من اليد العاملة الرخيصة فقط، بل أصبحت تضم فئات متعلمة، وكفاءات أبدعت في دول المقصد والتي أصبحت تتبوأ مناصب علمية راقية في كبريات المؤسسات العالمية، ورغم غياب إحصاءات شاملة ومحينة حول الظاهرة، غير أنه يمكن الوقوف على مدى انتشارها من مصادر متفرقة، فحسب تصريح لوزير التربية الوطنية والتكوين المهني والبحث العلمي فحوالي 600 مهندس يغادرون البلاد كل سنة، خاصة في التخصصات التقنية والدقيقة، وحسب الفيدرالية المغربية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات "الافشورينغ" فحوالي 800 إطار مغربي من ذوي الخبرة والتجربة يهاجرون سنويا نحو الخارج¹²،

¹³- في سنة 2017 بفرنسا على سبيل المثال كان 15.6% (6945) من الأطباء من ذوي الاصول المغربية، حوالي 1170 منهم حصلوا على دبلوم الطب بالمغرب، أي بارتفاع بلغ 34% مقارنة بالعام 2007. أنظر: المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "التقرير السنوي 2018"، مرجع سابق، ص 109، نقلا عن:

Conseil national de l'ordre des médecins français « Etudes longitudinales (2007-2017) des médecins nés hors de France et des médecins diplomés hors de France.

¹⁴- استاني زين الدين، "هجرة الكفاءات المغربية: أزمة تشغيل أم أزمة قيم... "مداخلة في الندوة المغربية حول التشغيل والسلم الاجتماعي، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية- جامعة القاضي عياض- مراكش، 14-15 فبراير 2020 (غير منشورة).

¹¹- مؤسسة الفكر العربي "التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية" بيروت، 2010، ص 169.

¹²- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي المغربي "التقرير السنوي 2018"، بتاريخ 18 يوليوز 2019، ص 109.

بتثمين عمل الباحث، وذلك من أجل استقطاب أفضل الكفاءات العلمية في المجالات الأكثر دقة.

إن هذا النوع من الهجرة له انعكاسات اقتصادية سلبية آنية ولملموسة على مسار التنمية بالمغرب، وذلك من جهتين، من جهة أولى عدم الاستفادة من الرساميل البشرية خاصة وأن غالبية هذه الكفاءات عليها اقبال، مثل الأطباء والمهندسين وتدخل في غالبية الدول ضمن التخصصات العمومية ذات الاستقطاب المحدود، والتي تكون الكلفة السنوية للتسيير اللازمة لتكوين الطالب فيها أعلى من تكوين الطالب في المسالك ذات الاستقطاب المفتوح¹⁵.

إن الخروج من هذا المأزق يستلزم ضرورة إتخاذ تدابير وإجراءات تصب في إطار بعث وتفعيل الدور التنموي للمهاجرين والتي تستحضر أساسا العوامل الدافعة لهجرة الكفاءات من جهة، ومن جهة ثانية تسترشد بالتجارب الدولية المقارنة الناجحة و الفضلى الأنف ذكرها، وكذا توصيات الهيئات والمنظمات الدولية و الوطنية المعنية بقضايا الهجرة والتنمية ومن ذلك مايلي :

-خلق قنوات لتسهيل التواصل مع الكفاءات بالخارج: ومن ذلك التأسيس لبني شبكية

¹⁵- في المغرب مثلا تبلغ الكلفة السنوية لتكوين الطالب في مجال الطب أو الهندسة ما يقارب 39.600 درهم سنويا للطالب الواحد، أنظر:

Conseil Supérieur d'Education, de formation et de recherche scientifique au Maroc « pour une école de l'équité, de qualité, et de promotion » Vision Stratégique Pour La Réforme 2015-2030 (2015).

للتنسيق مع البلد الأم، وذلك لضمان استمرار التواصل معهم من دون مغادرة الدول التي يُقيمون فيها، أو يعملون بها، من خلال الاستفادة من البيئة التمكينية التي وفرتها ثورة التكنولوجيا التي يعرفها العالم في مجال الاتصال، وهذا لا محالة سيمكن من تيسير نقل المعرفة والمهارات والخبرات والأفكار والثقافة المكتسبة من دول المهجر، و التي ستؤثر تأثيرا إيجابيا في رأس المال البشري للوطن الأم.

-التحسيس بالدور والواجب التنموي للكفاءات المغربية: و ذلك من خلال عقد "ملتقيات ومؤتمرات" دولية تجمع الكفاءات بالخارج مع نظرائهم في المغرب، إضافة إلى المسؤولين المغاربة وكذا المجتمع المدني المهتم بقضايا الجالية والهجرة، وقد تكون هذه الملتقيات فرصة للتحسيس بالدور التنموي للكفاءات المهاجرة، وقد يتمخض عنها خلق شبكات موضوعاتية تعمل فيها الكفاءات من داخل الوطن وخارجه جنبا إلى جنب لوضع السياسات التنموية وتتبعها وتصويبها.

-إدماج أفضل الكفاءات في مناصب المسؤولية أو التي تتطلب الخبرة: وذلك بإتخاذ إجراءات قانونية وتنظيمية لإشراك أفضل الكفاءات ذوي المؤهلات العالية، والعاملين في القطاعات المتطورة في السياسات العمومية الوطنية، وتعبئتهم بإعتبارهم حلقة وصل بين المغرب وباقي بلدان العالم، وهذا لا محالة سيجنب الدولة الإستعانة بالخبرات الأجنبية.

-تعزيز منظومة البحث والإرتقاء بجاذبية الجامعات: لاجدال في أن تسريع مسار التنمية بالمغرب سيظل رهينا بضمان جودة التعليم العالي والمهني، والنهوض بالبحث العلمي وإشراك الكفاءات المهاجرة شرط أساسي لكسب هذا الرهان، وذلك من خلال تعبئتها لخدمة تنمية المغرب وإشعاعه عبر نقل الخبرات في مجالات واعدة (البحث العلمي، التطوير، الابتكار)، وهذا المدخل ستكون له لا محالة عوائد قيمة على التنمية بالوطن وسيساهم في تحسين صورة المغرب دوليا.

-تحسين مناخ الأعمال: وذلك بتوفير الظروف لإحتضان الكفاءات والمواهب الشابة من مغاربة العالم ومواكبة الشباب حاملي المشاريع والمبادرات بتشجيعهم على إقامة مشاريع تنموية (شركات ناشئة، مقاولات...)، ودعمهم وتمكينهم من خلال تخصيص برامج حكومية جديدة خاصة بهم بعد تعثر العديد من البرامج الحكومية الخاصة بالكفاءات والمواهب مثل "فينكوم"، "مغربيكم"، "جهة 13".

ثانيا : إستغلال تحويلات المهاجرين في خدمة التنمية

إن التحويلات المالية¹⁶ التي يُرسلها المهاجرون إلى أوطانهم الأصل هي مساهمات محلية تقدم

من خلال المعاملات الشخصية¹⁷، التي يقوم بها المهاجرون طوعيا، فرديا، أو جماعيا إلى أشخاص يُقيمون معهم صلات وثيقة، ويدخل في إطارها التحويلات النقدية التي يرسلها المهاجر إلى بلد المنشأ أو بعبارة أخرى التدفقات المالية المرتبطة بالهجرة¹⁸، سواء تعلق الأمر بالتحويلات المالية داخل الأسرة، مذكرات المغتربين، أو التبرعات الخيرية¹⁹، وإستثمارات المغتربين كذلك.

مصطلحات الهجرة " الإصدار الثاني، العدد 32، 2013، ص 22

¹⁷- المنظمة الدولية للهجرة" تقرير الهجرة في العالم لعام 2020" ص172.

¹⁸- منظمة العمل الدولية ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا والمنظمة الدولية للهجرة " دليل بشأن وضع سياسات فعالة في مجال هجرة الأيدي العاملة " طبعة منطقة البحر الأبيض المتوسط، دار الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، 2007، ص 64 .

¹⁹- تجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أن من المبادرات التي قامت بها بعض الدول في هذا المجال إستعمال أدوات من قبيل سندات الشتات لجمع الأموال في حالات ما بعد الكوارث مثل الزلازل والفيضانات التي ضربت أوطانهم، ففي عام 2017 على سبيل المثال أصدرت نيجيريا أول سند للشتات جمع 300 مليون دولار لتمويل مشاريع البنية التحتية، وأنشأت أرمينيا وهي بلد يضم عدد كبير من المهاجرين سندات الشتات أصدرتها الحكومة في عام 2018 وهي طريقة غير مكلفة نسبيا لجمع الأموال، بما في ذلك فترات الإجهاد المالي، وقد كانت بديلا للدول المبادرة لإقتراض الأموال من الحكومات أو المؤسسات الدولية، وتعتبر دولة الهند، وإسرائيل أنجح مثالين جنت فوائد من سندات الشتات حيث جمعت من خلالها مليارات الدولارات على مر عقود، أنظر: المنظمة الدولية للهجرة" تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، مرجع سابق، ص175

¹⁶- التحويلات المالية جاء تعريفها في قاموس الهجرة كما يلي: هي تلك الأموال التي كسبها أو إكتسبها عن طريق الهجرة الأشخاص غير المواطنين non-nationals والتي يتم تحويلها ثانية إلى بلد المنشأ، أنظر: اللجنة التنفيذية للمنظمة الدولية للهجرة "القانون الدولي للهجرة، قاموس

الأسد، بالمقارنة مع العديد من دول الجنوب وهذا ما تؤكد أرقام الجدول الآتي:

التدفقات الداخلة من الحولات المالية للمهاجرين إلى البلدان العربية من جنوب المتوسط 2006-2016

الدولة	التدفقات الداخلة من الحولات (بملايين الدولارات)					
	2016	2014	2012	2010	2008	2006
مصر	16.58 4	19.57 0	19.236	12.45 3	8.694	5.330
العراق	837	729	271	177	71	389
لبنان	7.309	7.191	6.671	6.914	7.181	5.202
الجزائر	2.046	2.000	1.942	2.044	2.202	1.610
المغرب	7.010	7.736	6.508	6.423	6.894	5.451
تونس	1.794	2.247	2.266	2.063	1.977	1.510

المصدر: الإسكوا، المنظمة الدولية للهجرة "تقرير حالة الهجرة الدولية لعام 2017 - الهجرة في المنطقة العربية وخطة التنمية المستدامة لعام 2030" رقم الوثيقة E/ESCWA/SDD/2017/1، ص 140

تعد التحويلات المالية النقدية للمهاجرين إلى بلدانهم الأصلية من بين أهم مساهمات هؤلاء في إقتصاديات بلدان منشئهم، وهكذا يُمكن إعتبار هذه التحويلات بمثابة البعد الملموس للهجرة، أو عائدها المادي على مستوى الدول المصدرة للهجرة، لدرجة أن البعض يعتبر أن الأجور المرتفعة في دول إستقبال الهجرة، وإرسال التحويلات إلى الأسرة هي الدافع الأساسي للعمال المهاجرين من الدول الفقيرة للهجرة²⁰، فبعد نجاح تجربة الهجرة وحصول المهاجر على عمل يولد دخلا له، يأتي قراره مباشرة بتحويل قدر من هذا الدخل إلى أسرته في وطنه الأم، وهذا ما تثبته الأرقام، ففي تقرير للبنك الدولي في سنة 2017 تمت الإشارة إلى أن المهاجرين يرسلون ما يقارب 15% من عائداتهم المادية في شكل تحويلات مالية إلى بلدانهم الأصل²¹، والتي وصلت لرقم قياسي قدره 529 مليار دولار أمريكي في سنة 2018، بعد أن كانت قد بلغت 483 مليار دولار أمريكي في سنة 2017 إلى البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل لوحدها²²، والتي نال فيها المغرب على مدى عقود من الزمن حصة

²⁰ -International Labour Organization ;Regional Office Arab States " Media-friendly Glossary On Migration –Middle East Edition ;P : 34

²¹ -البنك الدولي، "الشراكة المعرفية العالمية بشأن الهجرة والتنمية"، أكتوبر 2017، على الرابط:

<https://www.knomad.org/sites/default/files/2017/migration%20and%20development%20report%2014-14-17/20web%20pdf>

²² - المنظمة الدولية للهجرة "تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، مرجع سابق ص 174 .

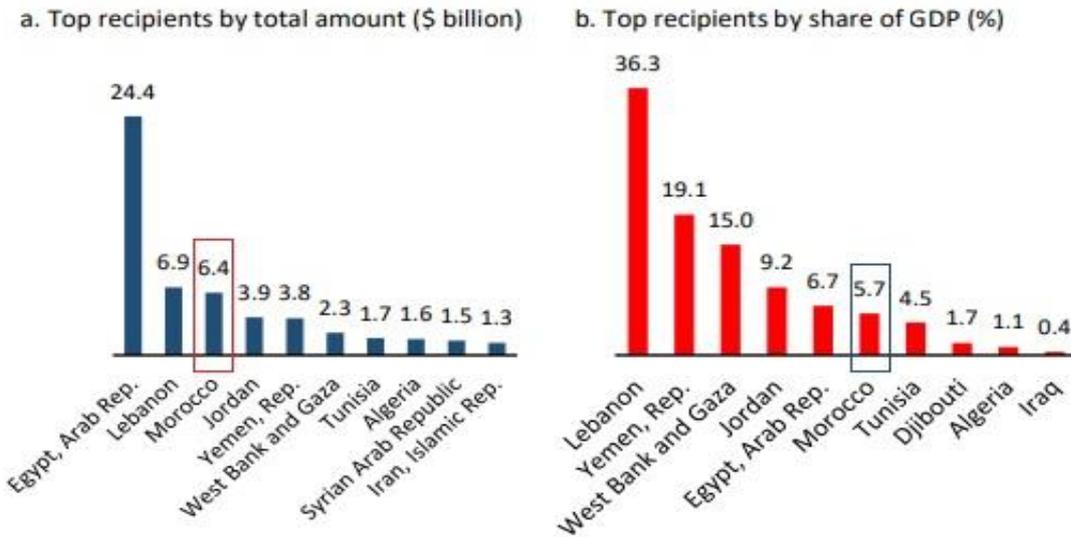
الأساسية بدلا من الاستثمار الإنتاجي الذي يمكن أن يحقق دخلا وتوظيفا مباشرة، وفي أحسن الأحوال تستثمر هذه التحويلات في إقامة مشاريع تنموية صغيرة مثل الدكاكين أو الشركات الصغيرة²³ ..

شهدت تحويلات مغاربة العالم تطورات هامة في السنوات الأخيرة وأصبحت تعرف دينامية جديدة استطاعت بفضلها مقاومة مختلف الأزمات التي يعرفها الاقتصاد العالمي خاصة في فترة الركود التي تزامنت وتفشي وباء كورونا، فبعد أن بلغت 68,18 مليار درهم في 2020 استطاعت أن تعرف طفرة قياسية في 2021 لتصل إلى 93,7 مليار درهم مسجلة بذلك زيادة قدرت 37,5%²⁴.

من خلال أرقام الجدول أعلاه فمصر وليبنان والمغرب من أهم الدول المستفيدة من التحويلات المالية لمهاجريها عبر العالم، وهذه التحويلات المالية لها آثار هامة جدا في هذه البلدان، إذ توفر لها تدفقات كبيرة لرؤوس الأموال ومصدر دخل مستقر، وعادة ما تكون أقل تقلبا، وأكثر ثقة للعملة الأجنبية من التدفقات الرأسمالية الأخرى، كما أن لها دور في حفظ الاستقرار الكلي للاقتصاد من خلال تعزيز الدخل القومي.

إن كل هذه التحويلات على أهميتها لا تمثل بعدا كليا فحسب، بل يمكن أن يكون لها دور في عملية التنمية لو أحسن استثمارها، غير أن الملاحظ أن غالبيتها على الرغم من أهميتها وكونها إضافة إلى الناتج المحلي الإجمالي فإنها تنفق غالبا على الاستهلاك مثل نفقات الأسر والاحتياجات

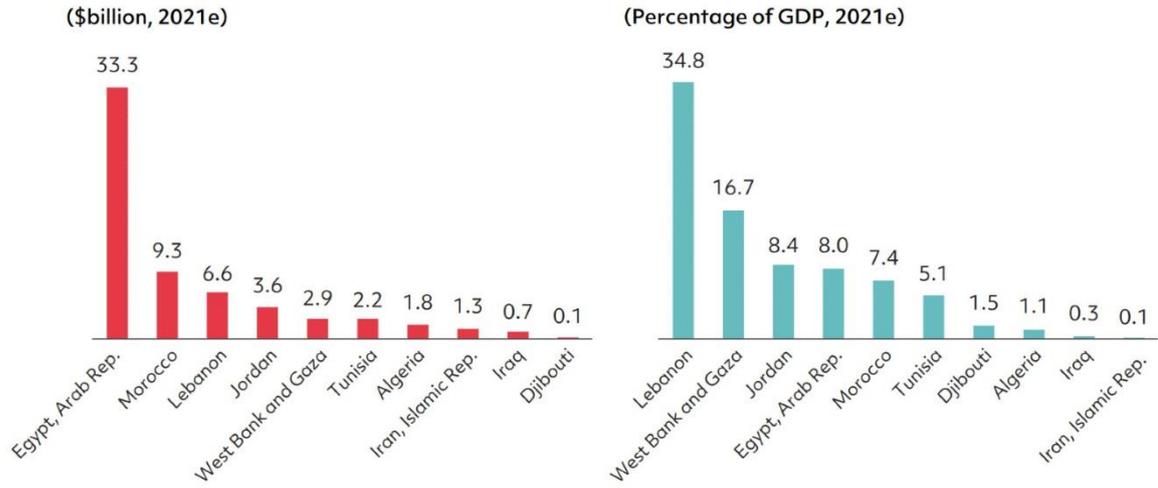
مبيان: أكبر البلدان المستقبلية للتحويلات المالية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في عامي 2020 و2021



²³- برنامج الامم المتحدة الإنمائي: المكتب الإقليمي للدول العربية، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2016، "الشباب وآفاق التنمية الإنسانية في عالم متغير"، مرجع سابق، ص 138

²⁴- بيانات مكتب الصرف المغربي .

Figure 4.16 Top Remittance Recipients in the Middle East and North Africa, 2021



المصدر: بيانات صندوق النقد الدولي على الرابط:

World Bank-KNOMAD staff estimates ; world Development Indicators ;IMF of payments statistics 2020-2021

الصحية والإستثمار في تعليم أفراد الأسرة، فضلا عن توفير القدرة على الإستثمار في أصول أخرى، أي الإرتقاء بمستوى المعيشة بشكل أفضل وأسرع مقارنة بالوضع في حال غياب هذه التحويلات²⁶.

على هذا الأساس يُمكن القول بأن التحويلات المالية للمهاجرين المغاربة لا تزال تلعب أدوارا هامشية في تحقيق الغايات التنموية للدولة ، وهذا يحتم تكثيف الجهود للإستفادة منها وجعلها في خدمة التنمية الشاملة وتعزيز مساهمتها في توليد الثروة، إنسجاما مع مبادرات بعض الهيئات الدولية التي تشجع فكرة وضع

علاوة على تأثير تحويلات مغاربة العالم على التوازنات الاقتصادية الكلية للبلد الأم المغرب، والذي يبدو واضحا في مساهمتها في الناتج الداخلي الإجمالي، فلها أيضا تأثير إجتماعي²⁵ واضح حيث تساعد الأسر المتلقية لها على تلبية الإحتياجات الأساسية (مثل الطعام والمأوى)، والتخفيف من حدة الفقر، كما يمكن لهذه التحويلات أن تشكل حواجز إحتياطية ضد التكاليف غير المتوقعة، ودعم الإستقرار المالي للأسر والقدرة على التحمل، كما يُمكن لهذه الأموال أيضا أن تدعم الوصول إلى الخدمات

²⁵-Etude sur la contribution des marocains résédant à l'Etranger du développement économique et social du Maroc sur site web :<https://www.IOM.int/sites/default/files/country/docs/morocco/Etude-contribution-MRE-au-developpement-du-Maroc-PDF>

²⁶- التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية "الهجرة الدولية والتنمية 2014" إدارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، القطاع الإجتماعي، جامعة الدول العربية، القاهرة 2014، ص 5.

تحويلات المغتربين والمهاجرين في وسط عملية التنمية أي جعلها أدوات للتنمية في الوطن الأم، غير أن هذا الأمر تعترضه صعوبات هامة، لعل أبرزها غياب مناخ موات للأعمال في الوطن الأم، وفي سبيل تعظيم مكتسبات الهجرة وحتى لا تذهب تحويلات مغاربة العالم هباء أصبح من اللازم تكثيف الجهود من أجل البناء لخطط قادرة على ضمان مساهمة التحويلات المالية لمغاربة العالم في تحقيق التنمية المنصفة والشاملة والمستدامة، ومن ذلك ما يلي:

- الاستفادة من الاستثمارات الأجنبية للمهاجرين: وذلك بتمكين مغاربة العالم من المشاركة في الأنشطة الإنمائية المدرة للثروة، بمنحهم حوافز للقيام بذلك محاكاة للتجارب الناجحة في هذا الإطار، فشركات المغتربين في بعض البلدان تُشكل حصة كبيرة من الاستثمار الأجنبي المباشر، ففي جورجيا على سبيل المثال، ما يُقدر بنسبة 17% من شركات القطاع الخاص تنتهي إلى المواطنين المغتربين، مما ساعد هذه الدولة على خلق رأس المال المادي وكذا خلق فرص الشغل²⁷.

- التأسيس لبرامج تشجع الإدماج المالي للمهاجرين وأسرهم: عن طريق مساعدتهم في تحقيق أهدافهم فيما يتعلق بالادخار والاستثمار²⁸، وكذا محو الأمية المالية في

²⁷ المنظمة الدولية للهجرة "تقرير الهجرة في العالم لعام 2020"، مرجع سابق ص175.

²⁸ الإسكوا، المنظمة الدولية للهجرة "تقرير حالة الهجرة الدولية لعام 2017 - الهجرة في المنطقة العربية وخطة التنمية المستدامة لعام 2030" مرجع سابق، ص 85.

صفوف الأسر المتلقية للتحويلات المالية، وكل هذا لتعزيز مشاركة المغتربين في الاستثمار في مجتمعاتهم الأصلية.

- ابتداء خدمات مالية جديدة للمهاجرين: والتي تتجاوز خدمات التحويلات المالية لدعم التحويلات الطويلة الأجل مثل تمويل العودة إلى الوطن، وبشروط مغرية²⁹.

- تشجيع البنوك الوطنية على فتح فروع لها في بلدان إقامة الرعايا المغاربة: وهذا سيمكن من تجاوز إشكال مسألة ارتفاع تكاليف التحويل³⁰، التي لا تزال تؤثر في حجم التحويلات المالية الموجهة إلى دول المنشأ، رغم أن الهيئة الدولية لمكافحة المعاملات المالية غير المشروعة أوصت غير ما مرة أن تستخدم المؤسسات المالية عمليات مبسطة للتحويلات ومنخفضة التكلفة، خاصة للدول التي تعاني هشاشة في باقتصاداتها، لأن من شأن ذلك أن يحد من اللجوء إلى القنوات غير الرسمية لتفادي التكاليف الإضافية، التي كرسها واقع قيام العديد من الدول بإغلاق حسابات مقدمي خدمات التحويلات المالية الي انتشرت على نطاق واسع،

²⁹ - ومن ذلك ما قامت به دولة الهند لفائدة الهنود المغتربين من فوائد تقضيلية ومغفأة من الضرائب على ودائعهم في البنوك الهندية، المنظمة الدولية للهجرة "تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، مرجع سابق ص175.

³⁰ - تتحدد هذه التكاليف تبعاً لمجموعة من العوامل ومن ذلك: - التكاليف عند نقطة التحويل، رسوم المعاملات، أسعار الصرف، الوثائق اللازمة لإرسال الأموال أو إستلامها أو سرعة التحويل.

بحجة كونها تحويلات مالية غير مشروعة مثل تبييض الأموال وتمويل الإرهاب.

الفقرة الثانية: مرتكزات مراجعة الدور التنموي لمغاربة العالم

تستوجب مراجعة الدور التنموي لمغاربة العالم كخطوة أساسية لجعل الهجرة في مسار التنمية مأسسته (أولاً)، بالموازاة مع اتخاذ إجراءات فعلية كفيلة بإحياء وتوثيق الصلة مع مغاربة العالم في الخارج (ثانياً).

أولاً: مأسسة الدور التنموي للهجرة :

عديدة هي المؤسسات المسؤولة عن تأطير الهجرة في المغرب، إذ لا توجد مؤسسة محددة مسؤولة بشكل مباشر على إدارة الهجرة بكل أبعادها، فعلاوة على دور وزارتي الداخلية والخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج نجد العديد من المتدخلين الآخرين والمؤسسات المكلفة بالهجرة من قبيل مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج³¹، مجلس الجالية المغربية بالخارج³²، مؤسسة محمد الخامس

³¹ - مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج هي مؤسسة لا تهدف الى الربح وتتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وقد تأسست بموجب الظهير 79-90-1 بتاريخ 20 ذي الحجة 1410 الموافق 13 يوليوز 1990، والهدف الأساسي لانشائها ضمان استمرار العلاقات التي تربط المغاربة المقيمين بالخارج بوطنهم الأم، ومساعدتهم على تدليل الصعوبات التي تعترضهم بسبب إغترابهم ويتمحور العمل الذي تقوم به هذه المؤسسة حول مجموعة من البرامج التي تشمل الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

³² - مجلس الجالية المغربية بالخارج هو مؤسسة وطنية استشارية تتمتع بالاستقلال الإداري والمالي تأسست بموجب

للتضامن، المجلس العلمي المغربي بأوروبا وغيرها، وهذه التعددية تضعنا أمام العديد من البرامج المتضاربة والمتعارضة والمكررة أحيانا من جهة، ومن جهة ثانية تخلق نوعا من عدم التكامل وغياب الانسجام بسبب غياب التنسيق.

لقد بدأ المغرب في السنوات الأخيرة يخوض تحدي بناء سياسة رصينة تجعل الهجرة في خدمة التنمية الوطنية والمحلية مستفيدا من بعض الممارسات الفضلى دوليا، غير أن هذه السياسة ظلت على شكل إجراءات متناثرة يعوزها عدم التكامل وعدم التتبع وغياب الأثر، الشيء الذي يرفع درجة استعجال إطار تشريعي جديد لتقوية فعالية المنظومة المؤسساتية لمغاربة العالم لجعلها قادرة على ضمان إدارة جيدة للهجرة وفي خدمة الأغراض التنموية للدولة ومن ذلك مايلي:

- خلق إطار مؤسسي خاص بالتخطيط لدمج الهجرة في مسار التنمية: إن السبيل الوحيد لكسر الحلقة المفرغة بين الهجرة والتنمية في المغرب يتمثل في إنشاء مؤسسة يُنَاط بها التفكير والتخطيط لتحديد التوجهات الاستراتيجية الكفيلة بالنهوض بدور مغاربة العالم في تطوير وتحديث بلد المنشأ، وهذه التوجهات ستشكل اللبنة الأساسية التي على أساسها يُمكن صياغة برامج وسياسات عمومية خاصة لتعزيز

الظهير 1.07.08 بتاريخ 21 دجنبر 2000، مهمتها هي تتبع وتقييم السياسات العمومية للمملكة اتجاه المغاربة المقيمين بالخارج بهدف ضمان حقوقهم في بلدان الإقامة.

مساهمة³³ مغاربة العالم في البناء للمسار التنموي الجديد الذي يصبوا من خلاله المغرب للريادة الإقليمية في مجالات التكوين، البحث، الابتكار، الطاقة المنخفضة التكلفة، الرقميات، أسواق الرساميل، وجعل علامة صنع في المغرب مندمجة في أسواق الرساميل العالمية³⁴.

- تحديث وتأهيل الإطار المؤسسي الحالي الخاص بالجالية: إن المدخل الثاني لتدارك النقص في ضمان انسجام سياسة الهجرة مع سياسة التنمية بالمغرب يفرض استصدار إطار تشريعي يوضح اختصاصات مؤسسات الهجرة بدقة، ويضمن مساحات مهمة للتكامل والتعامل بينها ويمنع تعارضها وتضارب اختصاصاتها خاصة في مجالات المصاحبة والإرشاد لخدمة الحاجيات التنموية، فغياب المهاجر عن أرض الوطن وإختلاف الظروف في مجتمع الأصل عن الواقع المعاش في بلد المقصد يجعله جاهلا عن الحاجيات الأكثر إلحاحا لتحقيق التنمية في الوطن الأم عند تفكيره في إقامة مشروع استثماري خاص، ومن تم فتأهيل الإطار المؤسسي الحالي يجب أن يكون هدفه بناء

مؤسسات قادرة على توجيه استثمارات المهاجرين لخدمة الحاجيات التنموية³⁵ والقادرة على تعزيز الإنتاجية الاقتصادية فضلا عن الإسهام في خلق فرص الشغل.

- إعادة النظر في نموذج الحكامة الخاص بالمؤسسات الحالية للرفع من نجاعتها وتكاملها: لا جدال في أن مغاربة العالم المعروفين بارتباطهم القوي بوطنهم يُساهمون بتلقائية في تنمية وطنهم الأم المغرب، لكن هذه المساهمة تظل محدودة وعديمة الأثر، ولعل المدخل لكسب الرهان في هذا الإطار هو مراجعة نموذج الحكامة الخاص بالمؤسسات الحالية لتصبح شريكا حقيقيا في القرار السياسي لصناعة وتنفيذ برامج السياسات العمومية الخاصة بدمج الهجرة في التنمية وتصبح قادرة على مواكبة واحتضان مغاربة العالم للإستفادة من مهارتهم وخبراتهم المكتسبة في بلدان المهجر التي يُمكن إستخدامها في التطوير والتحديث في بلد المنشأ³⁶ هذا من

³⁵- في هذا الإطار تبدا الأولوية واضحة في الوقت الحالي للشروع في تنزيل الفصل 163 من دستور 2011 الذي أكد على أن مجلس الجالية المغربية بالخارج هو المؤسسة الموكول لها مهمة إبداء الآراء حول توجهات السياسات العمومية التي يمكن لمغاربة العالم من خلالها المساهمة في التنمية البشرية والمستدامة في وطنهم المغرب، وتفعيلا لمنطوق هذا النص الدستوري فالضرورة أصبحت تستدعي تغيير القانون التنظيمي الخاص بهذه الهيئة وإستصدار قانون تنظيمي لنسخة جديدة لمجلس الجالية و التي تضمن له "الإحالة الذاتية" و"المبادرة" في إبداء رأيه في كل القوانين التي لها علاقة بقضايا مغاربة العالم وسبل إشراكهم في السياسة التنموية للمغرب .

³⁶- التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية"الهجرة الدولية و التنمية 2014" إدارة السياسات السكانية والمغتربين

³³- يُقصد بالمساهمة في هذا الإطار كما جاء في تقرير منظمة الهجرة الدولية لعام 2020 "إعطاء شيء ما- مال أو وقت أو أفكار أو عمل أو سلع مادية - من أجل تحقيق شيء، ويُمكن تصنيفها على نطاق واسع أنها قد تشمل المجالات الاجتماعية والثقافية والمدنية والسياسية والإقتصادية، أنظر: المنظمة الدولية للهجرة" تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، مرجع سابق ص 162.

³⁴- اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي"النموذج التنموي الجديد" تحرير الطاقات وإستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع أبريل 2021 ص 13.

جهة، ومن جهة ثانية ضرورة تجاوز الضعف الهيكلي للتنسيق بين المؤسسات ذات الصلة بتأطير الهجرة عبر خلق أطر دائمة للتنسيق وتوحيد الجهود من قبيل اللجان المشتركة، الاجتماعات الاستثنائية، وورشات العمل... والتي يجب أن يكون همها الشاغل المواكبة المستمرة لمغاربة العالم لتذليل الصعوبات والإكراهات واحتواء مختلف الإشكالات التي قد ترافق تنزيل المشاريع و الاستثمارات التي يقوم بها مغاربة العالم.

إن مؤسسة الدور التنموي للهجرة بالمغرب سيمكن لا محالة من تقوية مساهمة مغاربة العالم في تنمية وطنهم الأم من منطلق أن رهان هذه المؤسسات سيكون تعرف هؤلاء عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وعن فرص الإستثمار وكيفية المساهمة والاستفادة من تنمية الوطن أي تسويق الصورة الحقيقية للواقع الإيجابي للوطن من جهة، ومن جهة أخرى سعي هذه المؤسسات بالتعريف بمؤهلات المغرب عبر شبكات الشتات عبر البلدان، مما قد يساهم في تعزيز تدفقات التجارة والإستثمار بين بلدان المقصد وبلدان المنشأ سواء كانت أجنبية، أو إقامة شركات لجاليات للمغتربين من أبناء الوطن الذين إنقطع بهم الوصل معه، ومن تم المساهمة في بناء الجسور بين الدول عن

طريق الاستثمارات والابتكار وكذا الأعمال الخيرية في بلدان الأصل³⁷.

ثانيا : إحياء وتوثيق الصلة مع مغاربة العالم في الخارج

إن رغبة المغرب في تحريك مساهمة مغاربة العالم في تنمية وطنهم الأم يُحتم عدم إهمال مصالحهم ومطالبهم الخاصة، وكذا توثيق صلتهم بوطنهم، على اعتبار أن الحفاظ على هذه الصلة يُعد اللبنة الأساسية التي من شأنها أن تُؤسس لدور تنموي فعلي للمهاجرين المغاربة، وتحقيقا لهذه الغاية شرع المغرب منذ سنوات خلت على إحياء وتوثيق صلة مغاربة العالم بوطنهم، والذين ظلوا يُشكلون حالة خاصة لإرتباطهم القوي بوطنهم والذي يتجلى في قوة الروابط الإنسانية والإعتزاز بالإنتماء للمغرب، وهذا لا يقتصر فقط على الجيل الأول والثاني وإنما يمتد إلى الجيل الثالث والرابع³⁸، وقد إضطلع بهذه المهمة عدة مؤسسات أهمها السفارات والقنصليات علاوة على دور مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج، مجلس الجالية، وكذا أدور وزارات عدة في هذا المجال من قبيل وزارة التربية الوطنية، الثقافة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية...، غير أن الرغبة الملحة والآنية لجعل مغاربة العالم فاعلين

³⁷ - الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة " تقرير الأمين العام (نحو هجرة تصب في صالح الجميع)"، الدورة 72 للجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة، رقم الوثيقة A/72/643 بتاريخ 12 ديسمبر 2017 ، ص 08 .

³⁸ - خطاب الملك محمد السادس بمناسبة الذكرى 69 لثورة الملك والشعب، السبت 20 غشت 2022.

والهجرة، القطاع الاجتماعي، جامعة الدول العربية، القاهرة 2014 ص 72 وما يليها.

رئيسيين للتغيير والتنمية تفرض مضاعفة الجهود في هذا الإطار، لتقوية الروابط وتعزيز الصلات من خلال الرفع من جودة العروض مع الحرص على ملائمتها مع إنتظارات مغاربة العالم ومن ذلك مايلي:

- دعم تمثيل المغاربة المقيمين في الخارج في الحياة السياسية: وذلك من خلال تفعيل الإعراف بحقهم وواجبهم في الإنتخابات ودعم تمثيليتهم في المجال السياسي الذي حدد دستور 2011 المعالم الكبرى للرغبة الرسمية في تأطير إشراك مغاربة العالم في تدبير الشأن السياسي فالفصل 17 من دستور 2011³⁹ يعترف لمغاربة العالم بحقوق المواطنة الكاملة بما في ذلك حق التصويت والترشح للإنتخابات، ومن أجل إشراكهم في صناعة السياسات العمومية التي تُقدمها الدولة لرعاياها في الخارج، وضمن الإصغاء الجاد لإنتظاراتهم، وكذا إشراكهم في بناء سياسات مناسبة لتحسين مساهمتهم التنموية لصالح بلدهم نجد الفصل 18 من دستور 2011⁴⁰ يؤكد على ضرورة إلزام

³⁹ - جاء في الفصل 17 من دستور 2011 مايلي " يتمتع المغاربة المقيمون بالخارج بحقوق المواطنة كاملة، بما فيها حق التصويت و الترشح في الإنتخابات، ويمكنهم تقديم ترشيحاتهم للإنتخابات على مستوى اللوائح والدوائر الإنتخابية، المحلية والجهوية والوطنية، ويحدد القانون المعايير الخاصة بالأهلية للإنتخاب وحالات التنافي، كما يُحدد شروط وكيفية الممارسة الفعلية لحق التصويت وحق الترشح إنطلاقا بلدان الإقامة "

⁴⁰ - جاء في الفصل 18 من دستور 2011 مايلي " تعمل السلطات العمومية على ضمان أوسع مشاركة ممكنة للمغاربة المقيمين بالخارج في المؤسسات الإستشارية وهيئات الحكامة التي يحددها الدستور أو القانون "

السلطات العمومية بضمن أوسع مشاركة ممكنة للمغاربة المقيمين بالخارج في المؤسسات الإستشارية وهيئات الحكامة الجيدة في البلاد، وكل هذا يُعد من سبل توثيق الروابط السياسية لمغاربة العالم مع وطنهم الأم.

- التحسين المستمر للخدمات العمومية التي تقدمها الدولة لمغاربة العالم: من المآخذ المسجلة في تسيير العلاقة بين مغاربة العالم ووطنهم الأم هو تجاهل قضاياهم و التعامل معها بكيفية مناسباتية كشهر رمضان أو في عملية عبور، ومن أجل تجاوز هذا المنطق ويهدف توطيد الصلات بين الجالية المغربية ووطنها الأم أصبح من اللازم مضاعفة الجهود القائم حاليا فيما يتعلق بالتأطير الديني والتربوي الذي تسهر عليه وزارة التربية الوطنية ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وذلك بهدف تحقيق الأمن الفكري والديني لمغاربة العالم وكذا تلقين أطفالهم اللغة العربية والثقافة الوطنية من أجل الحفاظ على الوشائج الإنسانية معهم وصيانة هويتهم الوطنية، من جهة أخرى أصبح من اللازم تحسين ظروف إستقبال أفراد الجالية المغربية المقيمة بالخارج في مواسم العودة ودعم إمكانيات تنقلهم وزيارتهم لبلدهم ولعائلاتهم بالعمل على تخفيض تكاليف التنقل⁴¹ ومن

⁴¹ - من المبادرات الحسنة التي أقدمت عليها الحكومة المغربية في هذا الإطار تخفيض تذاكر سفر مغاربة العالم الراغبين في زيارة وطنهم الأم في ازمة كورونا، و بلغة الأرقام كلف دعم رسوم سفر مغاربة العالم في عملية مرجبا 2021 ميزانية الدولة 02 مليار درهم، ويفضل الجهود التي بذلتها الدولة في هذا الإطار أصبحت كلفة العبور لعائلة مكونة من

خلال هذا النهج يُمكن للدولة أن توفر أموالاً يُمكن استثمارها وتزيد من توثيق الروابط بين المهاجر ووطنه⁴²، من جانب آخر وفي سبيل التحسين المستمر للخدمات العمومية الخاصة بمغاربة العالم فالضرورة تحتم ملائمة المساطر الإدارية لظروفهم من خلال رقمنة الخدمات القنصلية ووضع شبائيك خاصة رهن إشارتهم، لأن ذلك سيمكن من تسهيل إجراءات الحصول على الوثائق الإدارية والقضائية لصالح الجالية المغربية بالخارج.

- تكثيف التفاوض مع الدول المستقبلية لمغاربة العالم: من منطوق الفصل 16 من دستور 2011⁴³ أخذت الدولة المغربية على عاتقها الدفاع عن حقوق مغاربة العالم في الدول المستقبلية، وآلية بلوغ هذه الغاية هي تكثيف

أربعة أفراد وسيارة لا تفوق 995 أورو لقطع المسافات الطويلة، و 450 للمسافات القصيرة.

⁴² - من المآخذ التي سجلها بعض الخبراء على تقرير النموذج التنموي المغربي الجديد رؤية 2035 أنه لم يولي إهتماماً للأزمة الهيكلية التي يتخبط فيها النقل البحري المغربي رغم الأهمية الإستراتيجية لهذا القطاع لنقل مغاربة العالم، فالمستفيد الأكبر من العروض المفتوحة حالياً في وجه مغاربة العالم هو الشركات الملاحية الأوروبية، وذلك بسبب إفلاس الشركات الوطنية وخصوصة شركة كومناف، للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع أنظر: محمد حركات "قراءة في مشروع النموذج التنموي الجديد: أهميته وأسئلة الخصائص والتحديات" مجلة دراسات حقوق الإنسان و الديمقراطية، العدد 02، شتنبر 2021، ص 118.

⁴³ - جاء في الفصل 16 من دستور 2011 مايلي "تعمل المملكة المغربية على حماية الحقوق والمصالح المشروعة للمواطنين و المواطنين المغاربة المقيمين في الخارج في إطار إحترام القانون الدولي و القوانين الجاري بها العمل في بلدان الإستقبال"

الإتفاقيات الثنائية مع الدول المستقبلية لمعالجة مشاكل الهجرة وذلك بطريقة تُراعي المعايير الدولية وحقوق الإنسان للمهاجر، وأهمية التفاوض بين الدول والحكومات سيمكن أولاً من زيادة المكاسب العائدة من الهجرة والتقليل من الآثار المترتبة عنها كما جاء في التوصيات التي خلص لها تقرير اللجنة العالمية للهجرات الدولية في عام 2005⁴⁴، وثانياً سيمكن من الحصول على تنازلات من قبل دول الإستقبال والمرتبطة بحسن معاملة المهاجرين وتحسين ظروفهم، وفسح المجال أمامهم للعمل والإندماج في المجتمعات المستقبلية بما يخدم جميع الأطراف .

منذ عقود من الزمن عمل المغرب على وضع إستراتيجيات وأطر مؤسسية متنوعة الهدف منها تعبئة موارد ومهارات مغاربة العالم للنهوض بتنمية وطنهم الأم، غير أن محدودية النتائج المحصل عليها في هذا الإطار، ودرجة إستعجال التوجهات الإستراتيجية المستجدة في تقرير النموذج التنموي الجديد للنهوض بدور مغاربة العالم وتعبئة كفاءاتهم لجعلها في خدمة تنمية البلاد أصبحت تفرض من جهة أولى تحيين الإطار التشريعي الخاص بالإطار المؤسسي للهجرة قصد تحديته وتأهيله، ومراجعة نموذج الحكامة الخاص بالمؤسسات القائمة حالياً من جهة، ومن جهة ثانية مراجعة السياسات العمومية الخاصة

⁴⁴ - للمزيد حول أهمية التفاوض بين الدول والحكومات في إدارة الهجرة يرجى الرجوع إلى :

Global Commission International Migration

« Migration In An Interconnected World :New Direction For Action » (GCIM ; Switzerland ; October 2005)

بأرض الوطن خاصة الكفاءات والطاقات الوطنية، لأن المغرب في حاجة لكل أبنائه ولكل كفاءاته لتنميته وإشعاعه للمركز في مصاف الدول ذات التنافسية المستدامة.

بمغاربة العالم وجعلها تأخذ بعين الإعتبار خصوصياتهم، وكل هذا سيمكن لا محالة من تجاوز أوجه القصور الحالية التي تعوق دمج الهجرة في مسار التنمية بالمغرب، ومن تم تحقيق تأطير أفضل لمساهمة مغاربة العالم في التنمية

قائمة المراجع:

المقالات والدوريات العلمية :

Annalee Saxenian "Brain circulation and Capitalist Dynamics:The Silicon Valley-Hisnchunshanghai Triangle" CSES Working Paper ; Series 08 ; Center for Economy and Society Cornell University ; Departement of Sociology 2003

شاكر ظريف " هجرة الكفاءات الجزائرية إلى الخارج (1999-2015): دراسة في الأسباب والإنعكاسات"، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد 21، المجلد 06، صيف 2017

جورج قرم " الاقتصاد السياسي للإنتقال الديمقراطي في الوطن العربي" المستقبل العربي، السنة 37، العدد 426، غشت 2014

محمد حركات "قراءة في مشروع النموذج التنموي الجديد:أهميته وأسئلة الخصاص والتحديات" مجلة دراسات حقوق الإنسان و الديمقراطية، العدد 02، شتنبر 2021

الدراسات :

يوروميد 2: "الهجرة النسائية في دول البحر الأبيض المتوسط والإتحاد الأوروبي"، المفوضية الأوروبية (2008-2011)

Etude sur la contribution des marocains rsédant à l'Etranger du développement économique et social du Maroc su site web :

<https://www.IOM.int/sites/default/files/country/docs/morocco/Etude-contribution-MRE-au-developpement-du-Maroc-PDF>

التقارير

الإسكوا، المنظمة الدولية للهجرة "تقرير حالة الهجرة الدولية لعام 2017 – الهجرة في المنطقة العربية وخطة التنمية المستدامة لعام 2030" رقم الوثيقة E/ESCWA/SDD/2017/1

مؤسسة الفكر العربي "التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية" بيروت، 2010

المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي المغربي، التقرير السنوي 2018، بتاريخ 18 يوليوز 2019

Conseil Supérieur d'Éducation, de formation et de recherche scientifique au Maroc « pour une école de l'équité, de qualité, et de promotion » Vision Stratégique Pour La Réforme 2015-2030 (2015).

اللجنة التنفيذية للمنظمة الدولية للهجرة "القانون الدولي للهجرة، قاموس مصطلحات الهجرة" الإصدار الثاني، العدد 32، 2013

المنظمة الدولية للهجرة "تقرير الهجرة في العالم لعام 2020"

منظمة العمل الدولية ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا والمنظمة الدولية للهجرة " دليل بشأن وضع سياسات فعالة في مجال هجرة الأيدي العاملة " طبعة منطقة البحر الأبيض المتوسط، دار الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، 2007

منظمة العمل الدولية ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا والمنظمة الدولية للهجرة " دليل بشأن وضع سياسات فعالة في مجال هجرة الأيدي العاملة " طبعة منطقة البحر الأبيض المتوسط، دار الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، 2007

البنك الدولي، الشراكة المعرفية العالمية بشأن الهجرة والتنمية، أكتوبر 2017، على الرابط:

<https://www.knomad.org/sites/default/files/2017/migration%20and%20development%20report%2014-14-17/20web%20pdf>

تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2016، "الشباب وأفاق التنمية الإنسانية في عالم متغير"، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: المكتب الإقليمي للدول العربية، 2016

التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية "الهجرة الدولية والتنمية 2014" إدارة السياسات السكانية والمغترين والهجرة، القطاع الاجتماعي، جامعة الدول العربية، القاهرة 2014

اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي "النموذج التنموي الجديد" تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع" أبريل 2021

التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية "الهجرة الدولية والتنمية 2014" إدارة السياسات السكانية و المغترين و الهجرة، القطاع الاجتماعي، جامعة الدول العربية، القاهرة 2014

الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة " تقرير الأمين العام (نحو هجرة تصب في صالح الجميع)"، الدورة 72 للجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة، رقم الوثيقة A/72/643 بتاريخ 12 ديسمبر 2017

Global Commission International Migration « Migration In An Interconnected World :New Direction For Action » (GCIM ; Switzerland ; October 2005)

الندوات والأيام الدراسية:

استاني زين الدين، "هجرة الكفاءات المغربية: أزمة تشغيل أم أزمة قيم... "مداخلة في الندوة المغربية حول التشغيل والسلم الاجتماعي، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية- جامعة القاضي عياض- مراكش، 14-15 فبراير 2020 (غير منشورة).

(غير منشورة).